

إلى الرفيق خالد إسماعيل عمر

✓ صالح عمر

من أين أبدأ يا رفيقي أبا شيار؟ وبماذا أبدأ؟!

من البدايات، تحديداً انتسابك إلى الحركة الكردية وأنت في ريعان شبابك لتدافع عن حقوق شعبك الكردي... وعن وطنك سوريا. كنت ضابطاً في الجيش السوري تؤدي واجب الخدمة الإلزامية وترتقي إلى رتبة أعلى تقديراً لشجاعتك ودفاعك المستميت عن أرض سوريا وكرامة شعبها.

هل أبدأ معك من مواقفك الشجاعة واقتراحاتك الحكيمة، أم أبدأ معك أيها المناضل الراقد في مقبرة "قره قوي" والخالد في ذاكرة التاريخ من مواقفك الشجاعة وأرائك السديدة والتي كانت نابعة من إخلاصك ووفائك لشعبك الذي قلت عنه مراراً وتكراراً بأنه شعبٌ حي وذاكرته قوية لا ينسى مناضليه رغم المصائب والأهوال!... هل أبدأ بما كنت تقول لرفاقتك دوماً أيها الرفاق ابتعدوا عن التحزب، لا تجعلوا منه هدفاً، فالحزب ليس إلا وسيلة للوصول إلى الهدف، وللوصول إلى أهدافنا وحقوقنا المشروعة نحتاج إلى توحيد الصفوف وتأطير الحركة الكردية على القواسم المشتركة فيما بينها وبناء مرجعة كردية تضم جميع طاقات شعبنا الكردي على مبدأ قبول الآخر واحترام رأيه والاعتراف بوجود الاختلاف في وجهات النظر بين أطراف الحركة. كنت تقول أيضاً يجب أن نميز بين الاختلاف والخلاف، وإن اختلافنا في الحركة الكردية ثانوي أمام خلافنا الرئيسي مع الجهات الشوفينية في السلطة، هذه الجهات التي لا تعترف بوجود شعبنا الكردي.

أيها المناضل الكبير..

كان شعارك دوماً الأخوة العربية الكردية الأثورية وكل مكونات فسيفساء شعبنا السوري، وفي هذا المجال قلت أيضاً لن يصل الكرد إلى حقوقهم القومية المشروعة في إطار وحدة البلاد إلا إذا وقف إلى جانبه كل مكونات الشعب السوري، لذلك من الواجب علينا أن نوضح للأخريين بأن قضيتنا هي قضية وطنية داخلية تهم الجميع ومفتاح حلها في دمشق العاصمة، ولا نستقوي إلا بشعبنا السوري بكافة شرائحه الوطنية وقومياته المناخية.

أيها الرفيق الخالد..

كان صدرك وأفقك واسعين وسع الوطن، تحترم رأي الكل، الخصم والصديق، الصغير والكبير، ولم ينطق فمك بما لا يليق، كنت نبيلاً بأخلاقك وصدقك كبيراً بعبثك، ضحيت بحياتك الخاصة قربانا للحياة العامة، متواضعا في كل شيء وحازماً عند الضرورة... أخيراً أيها المربي الكبير، انتظرتك في الموعد، لكنك ولأول مرة خالفت الموعد، قلت في نفسي عجباً ما هكذا أبا شيار!! لم تأت ولم تخبرني يا رفيقي بأن الموعد إلى الأبد قد تأجل!! وأنت على موعد مع القدر ومن على ظهر جوداك تترجل!!... عنراً أيها الشهيد البطل، دموع الحزن وألم الفراق تزاحم العبارات وتمزق الفؤاد والكلمات، فالمصائب جلل والحزن كبير.. كبير..

عهداً أن تحمل الأجيال رايتك البيضاء في الصدق والإخلاص والوفاء... عليك الرحمة وألف ألف رحمة، ولذويك ورفاقتك وأصدقائك الصبر والسلوان..

وداعاً... وداعاً يا أيها البطل.

إسماعيل عمر:

الوسيط بين الشعب والسياسة

✓ بدرخان علي*

جمع السياسي الكردي - السوري الراحل عنا قبل أيام، إسماعيل عمر، رئيس حزب الوحدة الديمقراطي الكردي في سورية (بكي تي)، صفات شخصية وسياسية أهلته بحق للعب دور مؤثر في السياسة الكردية العامة في سورية، وليكون معلماً بارزاً على تحولات طرأت على تلك السياسة وكان هو من أبرز المساهمين فيها، وعنوان مرحلة من مراحل النضال الكردي السلمي والديمقراطي. فقد شهد له بصدق واحترام، وتجلّى ذلك في التشجيع المهيب وما قيل عنه وكتب.

ولا أدعي هنا حيادية ما حيال شخصية الرجل، كما لا أخفي انحيازي التحليلي لخياراته السياسية، ولقيادته أول عملية اندماجية بين تنظيمات كردية عدة، في الحركة الحزبية المشتتة، أوائل التسعينات من القرن الماضي، وقيام حزبه باستدخال مفردات جديدة في الخطاب السياسي الكردي في سورية، أصبحت في ما بعد محددات عامة لهذا الخطاب بفعل جدتها وجاذبيتها ومعقوليتها. فقد تمكن من بلورة موقف جديد في الحركة الكردية على صعيد العلاقة بين البعد الكردستاني والبعد الوطني السوري للمسألة الكردية، ما استوجب، بالتالي، تقويماً نقدياً لماضي العلاقات الحزبية مع الأطراف الكردستانية الفاعلة والمؤثرة، في سبيل توجيه الأنظار والسياسات إلى «التناقض الأساسي» المتمثل بالسياسات المتبعة حيال الكورد في سورية، وعدم إلهائهم وتبديد عواطفهم في قضايا لا تخصهم كأولوية نضالية. فـ «قضيتنا حلّ في دمشق، لا في بغداد وأنقرة وطهران»، كان يقول الراحل.

وهنا تحديداً لعبت الكاريزما الشخصية عنده، النسبية لكن غير المفتعلة، هذا الدور الوسيط بين البيئة السياسية الشعبية التي انحدر منها وعقلنة هذا الوعي الشعبي التلقائي، وإعادة تدوير الخطاب الكردي بتدرج صوب المسائل الحيوية للكورد السوريين. وفي البال هنا تصريحات وآراء للراحل في لحظات متوترة في حاضر الكورد السوريين، لا سيما بعد أحداث آذار (مارس) ٢٠٠٤ التي كتب عنها افتتاحيات مميزة وصاغ بيانات مسؤولة لحظة غضب شعبي عارم وسياسة سلطوية مستنكرة، أمعنت في القسوة. فلم يكن سهلاً مثلاً، وسط تذبذب جلّ القيادات الكردية في الدفاع عن الموقف المعلن لمجموع الأحزاب الكردية، وبعضهم تنصل منه على الفور، أن يثبت إسماعيل على موقفه، شارحاً مدافعاً محامياً عن ضرورة انتهاز سياسة دفاعية وحمائية من دون تردد.

وقد كانت تلك الأحداث العاصفة وما تلاها، لا سيما الندوب التي خلقتها معالجة السلطة للأحداث وتفاقم الضغط السياسي بعد مقتل رئيس الوزراء اللبناني رفيق الحريري، لحظة عصيبة فعلاً على الحركة الكردية المبعثرة؛ حيث الجماهير الغاضبة والمحرومة تطالب الأحزاب بـ «انتفاضة دائمة» و «مكاسب ملموسة». ما كان ممكناً في هذه البيئة المفسدة للعقلانية انتهاج سياسة متوازنة وموضوعية. وفي أجواء المنافسات الحزبية الصغيرة، ما أتيح إلا لأشخاص واقفين من أنفسهم بالجر بضرورة الحفاظ على المكون الكردي وعدم جعل المناطق الكردية ساحة مفتوحة للصراع السياسي، كيفما اتفق، كما تطالب بعض الأصوات الكردية التي يعيش جلّها هائناً خارج سورية.

وفي الإمكان القول، من دون مبالغة، إن الراحل خاض كفاحاً يومياً مريراً على هذا الصعيد، من خلال حضور دائم ومميز بين الناس، ساعياً وطامحاً إلى تحقيق هذا التوفيق الصعب ←